# رواد المدرسة التاريخية الجزائرية

مدرسة التاريخ الجزائرية رائدة وثرية بإنتاجها التاريخي، وفي الفترة المعاصرة وفي ظل الاحتلال طهرت مدرستان، مدرسة كلاسيكية اصلاحية ومدرسة أكاديمية ذاع صيتها بعد الاستقلال، ومن روادها ابو القاسم سعدالله

١. التاريخ بنظرة اصلاحية وطنية

حضي بعد الدفاع عن الهوية العربية والإسلامية بمكانة متميزة في خطاب ونضال الحركة الإصلاحية الجزائرية، ويرجع ذلك الى شدة وطأة السياسة الفرنسية في فرنسة الجزائر وتشبث النخب الإصلاحية بمبدأ عن مكتسبات الهوية، وقد كان شعار ابن باديس في مشروعه الإصلاحي قائما على مبادئ العربية لغتنا والإسلام ديننا والجزائر وطننا.

وهوية الأمة الجزائرية قائمة على تاريخها، التاريخ الذي يحفظ شخصيتها العربية والإسلامية المتميزة عن الهوية الفرنسية التي سعى المستعمر إلى إلصاقها بالجزائر، ولذلك ركزت الحركة الإصلاحية على إبراز خصوصيات الهوية الجزائرية من خلال دراسة تاريخ الجزائر، وقد برز ذلك في خطاب الحركة الإصلاحية المسجدي وفي ثنايا الصحف، حيث تحفل الشهاب والبصائر بقسط وافر من المقالات التي تستعرض تاريخ الجزائر، ولكنه برز بشكل أوضح من خلال ظهور كتب التاريخ التي ألفها رجال الحركة الإصلاحية، ومنهم محمد الميلي صاحب كتاب تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، واحمد توفيق المدني مؤلف

**كتاب تاريخ الجزائر عام ١٩٣١، وعبد الرحمن الجيلالي مصنف كتاب تاريخ الجزائر العام عام ١٩٥٣.**

**وجائت هذه الكتابات في لحظة حاسمة كانت الهوية معرضة للطمس والتشكيك بمناسبة الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر، وردا على الإيديولوجية الاستعمارية التي شككت في عناصر هوية الجزائر، وفي انعدام وحدة وطنية للشعب الجزائري، وفي قدرة الإنسان الجزائري عبر التاريخ في بناء الدولة وتنظيم المجتمع([1])، وعليه فقد كان على هذه الكتابات أن تخوض معركة ايديولوجية مدروسة للرد على كتابات المدرسة الاستعمارية الفرنسية.**

**انه لم يكن صدفة أن يحرص مبارك الميلي وتوفيق المدني على إصدار كتابيهما في أعقاب احتفالية سنة ١٩٣٠ ذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر، بل جاء ذلك ردا على ادعاءات فرنسا بان الجزائر أصبحت أرضا فرنسية، هويتها وتاريخها من هوية وتاريخ الأمة الفرنسية، وقد كان ابن باديس مدركا لأهمية التاريخ سلاحا للدفاع عن هوية الجزائر العربية والإسلامية، ولعله أوحى لرفيق دربه الميلي بتأليف كتابه، ولعل ذلك جاء نابعا من التأثر بالتجربة التونسية التي كان لها دور في الدفاع عن الهوية التونسية (كتابات صفر)([2]).**

**إن الإصلاح الذي طال المنظومة التعليمية اهتم بتدريس التاريخ، حيث أكدت كثير من المعطيات أن المستعمر يدرس التاريخ للأهالي المسلمين حسب تصوره، أسلوبه قائم على الغموض في كشف المعطيات وتحليلها، وعدم الربط بين الحقب التاريخية والتأكيد على وجود الفراغ التاريخي، وتجاهل إسهام**

---

[1] انظر امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، م د و ع، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢١٧

[2] نبغ صفر في تدريس التاريخ بجامعة الزيتونة واصبحت مؤلفاته حول القومية التونسية رائدة للمدرسة التاريخية المغاربية في العصر الحديث،

العرب والمسلمين في التطور الحضاري الإنساني، وهو ما كشفته النخب الطلابية، حيث سجل تقرير جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ما يلي:" إنهم (المدرسون الاستعماريون) يتخذون أسلوبا سقيما، فيتبعون طريقة الاختصار والإيجاز التي تجعل الدروس غامضة يعسر فهمها على التلميذ وذلك لأن الأستاذ يمر على القرون والدول مر السحاب فلا يقدر على تبيين ما وصلت إليه الدول والأمم العربية من الرقي العلمي والرقي الأدبي والفنون الجميلة ولا يتمكن من الإطناب في شرح المدنية العربية وأسبابها وبيان تطور الأمم العربية من الجاهلية إلى الآن"، ويخلص التقرير مؤكدا على حقيقة مرة " وبالجملة يحق لنا أن نجزم بأن تعليم تاريخ العرب وشمال افريقيا سقيم فاسد من حيث الكمية والأسلوب، فالكمية ضئيلة والأسلوب عقيم ...الخ"([٣]).

وقد نبهت أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على ضرورة إعادة النظر في تدريس التاريخ، ودعت نخبها إلى كتابة تاريخ وجغرافية الجزائر بعيد عن الإيديولوجية الاستعمارية، وهلل ابن باديس لصدور كتاب الميلي، واعتبره في رسالة تهنئة وجهها له فتحا مبينا، :« إذا كان من أحيا نفسا واحدة، فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها، فليس _ والله _ كفاء عملك أن تشكرك الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكرك الأجيال ..»([٤])

وهكذا فقد كان لصدور كتاب الميلي صدى واسعا في الجزائر، وتلاه صدور مصنفات المدني ومنها "كتاب الجزائر"، ثم جاء كتاب الجيلالي "تاريخ الجزائر العام" ليرسم صورة عن مدرسة تاريخية قومية، ظهرت في ظروف خاصة

---

[٣] تقرير اعده عبد الوهاب بكير ونشر ضمن وقائع المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، العلم السياسي، السنة ١، العدد ١٢، يونيو ١٩٨٣، ص ٢٤

[٤] اورد الميلي رسالة ابن باديس في اخر الجزء الاول من كتابه

وتميزت بخصوصياتها المنهجية، وهذه المصنفات الثلاث تشترك في عدة قواسم، منها طابعها العلمي العصري، وشموليتها ودقتها، وطابعها الوطني القومي، واعتبارا لهذه الخصوصيات فنحن لسنا أمام إسهامات فردية بل بمواجهة مدرسة وطنية ناشئة بدأت تخط مسيرة كتابة تاريخ الجزائر وان كانت واكبتها كثيرا من العثرات.

٢. الرواد الاكاديميون

برز عدد من المؤرخين الاكاديميين من بينهم:

ابو القاسم سعدالله

درس في القاهرة وفي امريكا، وتخصص في تاريخ الوطنية الجزائرية، جمع بين منهج الكتابة الكلاسيكية الموسوعية ومناهج البحث الغربية، وخاصة المعروفة في الجامعات الامريكية، ويظهر ذلك من خلال قراءاته وكتاباته الاجتهادية المعروفة مثل تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، وابحاث واراء في تاريخ الجزائر، والتاريخ الثقافي للجزائر،،، الخ

. جمال قنان، مؤرخ معاصر تأثر بالفكر القومي وبمدرسة الحوليات، حيث عكف سنوات في فرنسا منقبا عن الارشيف الخاص بالمغرب الاقصى والجزائر، له افكاره الوطنية والقومية البارزة ، ومن كتاباته نذكر/ دراسات في تاريخ الجزائر، معاهدات الجزائر مع فرنسا، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المقاومة المغربية ضد الاحتلال، العلاقات الالمانية الفرنسية والقضية المغربية

. عبدالحميد زوزو/ والذي اهتم بتاريخ الجزائر المعاصر والحركة الوطنية والثورة التحريرية، ومن كتبه: ثورات الأوراس، الاوراس ابن فترة الاستعمار الفرنسي ، ثورة بوعمامة، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة..الخ،

. محمد حربي: والذي تأثر بالمدرسة الماركسية في كتابة تاريخ الجزائر، ومن كتبه: ارشيف الثورة الجزائرية، جبهة التحرير الجزائرية الواقع والاسطورة.

موسى لقبال: والذي تخصص في التاريخ الاسلامي لبلاد المغرب، وتأثر بالمدرسة الاسلامية والغربية من خلال دراسته في القاهرة

. محمد الطاهر العدواني: من ابرز المتخصصين في التاريخ القديم، له عدة مؤلفات واسهامات في الحركة الفكرية الجزائرية

ناصر الدين سعيدوني: مؤرخ حصيف ومفكر، أكمل دراسته في فرنسا، وتخصص في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وقد نشر مؤخرا إعماله الكاملة في ٢٤ مجلد.

محمد الصغير غانم: درس في فرنسا والجزائر، وتخصص في تاريخ المغرب القديم والحضارة الفينيقية بالمغرب والبحر المتوسط

محمد البشير شنيتي: مؤرخ متخصص في تاريخ الجزائر في القديم، يعد رائدا للدراسات القديمة، درس لسنوات طويلة في جامعة الجزائر.، ومن كتبه المهمة: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني في جزئين.